PSYCHOLOGY AND EDUCATION (2023) 60(2): 1036-1046
ISSN: 1553-6939

Al-Badiaa from verbal embellishment to persuasiveness- Al-Bashir Al ibrahimi as a model -

Dr.zoubirBouzaghou
Ibn Khaldoun University of Tiaret (Algeria)bouzaghou.zoubir@gmail.com

Abstract:
In ancient Arabic rhetoric, badiaa relates to the external formulation of discourse, and has nothing to do with its Persuasive methods, and with the advent of the new rhetoric, this view changed and became known as basic pragmatic functions within the text, In order to know these functions, in this research we will study some of the articles of Al-Bashir Al-Ibrahimi in order to reach what the modern Argumentation
theory discovered in the fact that Al-Badiaa is an effective argumentative tool that cannot be confined to a narrow corner, and we chose Al-Ibrahimi's articles because he lived in the time of colonialism, which he spent his life calling for to fight it, so was the purpose of Al-Badiaa has only verbal embellishment, or does he have persuasive reasons?
Keywords:Al-Badiaa,rhetoric,Argumentation,Pragmatics,Al-Ibrahimi

البديع من براعة الزخرفة اللّفظية إلى القوة الإقناعية

–البشير الإبراهيمي أنموذجا–

د.زوبيربوزاغو
جامعة ابن خلدون بتيارت (الجزائر)bouzaghou.zoubir@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2023/07 تاريخ النشر:2023/08

ملخص:

في بلاغتنا القديمة لطالما عرفنا أنّ البديع يُعنى بالجانب الشكلي للخطاب، ولا علاقة له بأغراضه الإقناعية ومع ظهور البلاغة الجديدة تغيرت هذه النظرة فأصبح يعرف بوظائفَ تداوليةٍ أساسية داخل النص، ولمعرفة هذه الوظائف سنقوم في هذه الورقة بدراسةٍ لبعض مقالات البشير الإبراهيمي قصد الوصول إلى ما اكتشفته نظرية الحجاج الحديثة في كون البديع أداة حجاجية فعالة لا يمكن حصرها في زاوية ضيقة، وقد اخترنا مقالات الإبراهيمي لأنّه عاش في زمن الاستعمار الذي أفنى حياته داعيا إلى محاربته، فهل كان الغرض من البديع عنده التنميق اللفظي فقط، أم له دواعي إقناعية؟

الكلمات المفتاحية:البديع؛البلاغة؛الحجاج؛التداولية ؛الإبراهيمي.

1–تصدير:

يعتبر البديع ركيزة أساسية ترتكز عليها النصوص الإبداعية؛ إذ له ميزتان في النص؛ ميزة تتعلق بالجانب الشكلي التنميقي وميزة تتمثل في الإيقاعات الداخلية والخارجية للنص الذي يجعل القارئ منسجما مع تلك النغمات والنوتات الموسيقية متمتعا بها حتى لا يحصل له الملل، وبهذا المعنى عرفه البلاغيون القدماء بأنّه « علم يعرف به وجوه تحسين الكلام، بعد رعاية تطبيقية على مقتضى الحال ووضوح الدلالة ، وهذه الوجوه ضربان؛ ضرب يرجع إلى المعنى، وضرب يرجع إلى اللفظ».[1]

وهو التعريف الذي ذهب إليه ابن خلدون (ت:808هـ) في قوله: «إنّه النظر في تزيين الكلام وتحسينه بنوع التنسيق، إمّا بسجع يفصله، أو تجنيس يشابه بين ألفاظه، أو ترصيع يقطع أوزانه، أو تورية عن المعنى المقصود لإيهام معنى أخفى منه لاشتراك اللفظ بينهما أو طباق بالتقابل بين الأضداد، وأمثال ذلك».[2]

بهذه التعاريف يظهر أنّ للبديع وجها جماليا يعنى بالجانب الشكلي للألفاظ، لكن ما تغافلت عنه هذه التعاريف الميزة الثانية للبديع المتعلقة بالجانب الإقناعي فيكون بذلك البديع صيغة مستثمرة تتوسل الاستمالة والإقناع.

فيكون للبديع بهذه الطريقة جانب تداولي يرتكز في أساسه على الجانب الجمالي وقد نص على هذا المعنى البلاغيون والنقاد المعاصرون حيث؛ «أصبح للبديع أفق جديد يمكن استشرافه من منظور اللسانيات وهو فاعليته في ربط أجزاء النص»[3]، فحينئذ يظهر دور البديع بكونه عنصرا فعالا في تماسك أجزاء النص وربطه ربطا له علاقة بالأنساق الداخلية للنص فيتماهى السابق باللاحق تماهيا إيقاعيا ومعنويا.

نحن الآن أمام وظيفتين للبديع إحداهما جمالية شكلية تركز على استمالة المتلقي والأخرى حجاجية غايتها الإقناع، مُشَكلةً بذلك البلاغة الجديدة بمفهومها العام (الإمتاع والإقناع)؛ إذ يحمل البديع عنصر «الغرابة التي تَنتُجُ لمخالفة السائد بشيء من الطرافة التي يُمنحُ فيها المتلقي ما لم يمنحه له هذا النص»[4]، ولا يلجأ المتكلم إلى الوسائل البديعية إلا لغرض مقصود ومحدد وهو تحريك همة المتلقي وجعله متفاعلا معه.

إنّ دراستنا التطبيقية هذه تهدف إلى كشف الجوانب الإقناعية في المحسنات البديعية التي تميز بها خطاب البشير الإبراهيمي في وقت الاستعمار الفرنسي، وخاصة إذا عرفنا أنّه كان يهدف إلى توعية الجزائريين للانتفاضة ضد المستعمر، فهل استطاع الإبراهيمي أن يحقق ثنائية الإمتاع والإقناع في مقالاته التوعوية؟ أم أنّ توظيفه للبديع جارٍ مجرى الزخرف اللفظي الذي يسعى فيه الكاتب لإظهار المقدرة اللغوية البحتة؟

وللإجابة على هذه الإشكالية وضعنا هذه الفرضيات التي تسهل علينا طريق البحث وهي:

---

[1] القزويني الخطيب،(2003)الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، تح إبراهيم شمس الدين،دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، ص 255.

[2] ابن خلدون عبد الرحمن، (2005) المقدمة، تح عبد السلام الشدادي، بيت الفنون والعلوم واللآداب، الدار البيضاء، ج5، ص302.

[3] عبد المجيد جميل، (1999) بلاغة النص (مدخل نظري ودراسة تطبيقية)، دار عريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،ط01، ص15.

[4] زروقي عبد القادر، (2015) حجاجية البديع (استدلال منطقي أم إقناع بلاغي) ضمن أعمال الملتقى الدولي: مباحث الحجاج بين التنظير والإجراء (بحوث علمية محكمة في الحجاج) تنسيق مفلاح بن عبد الله، منشورات مختبر اللغة والتواصل ص99.

– أنّ حقبة الاستعمار الفرنسي فرضت على البشير الإبراهيمي أن ينحو منحى الإقناع والتأثير في المتلقي.
–براعة الإبراهيمي وقوة قريحته الأدبية مكنته الإكثار من الزخرفة اللفظية دون الإخلال بالأغراض الإقناعية.
– المشروع النهضوي التي كانت تهدف إليه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في تعليم المجتمع والثورة على فرنسا.

ومن الدراسات السابقة التي تعرضت للخطاب الحجاجي عند البشير الإبراهيمي والتي وقفت عليها هما رسالتا ماجستير الأولى " خصائص الخطاب الحجاجي وبنياته الإقناعية في أعمال البشير الإبراهيمي دراسة لنماذج نصية مختارة" جامعة بسكرة، ورسالة " الخطاب الحجاجي في المقالات لمحمد البشير الإبراهيمي مقاربة لغوية دلالية" لجامعة باتنة، إلاّ أنّ كلا الباحثين لم يتعرضا للحجاج البلاغي ولم يربطا البلاغة بالحجة في علاقة الإمتاع بالإقناع.

2 – السجع:

2-1 استدراج للمتلقي بقوة الإيقاع الصوتي:

إذا نظرنا في خطاب البشير الإبراهيمي عامة نجد الأشكال البديعية والزخرفة اللفظية طاغية على مقالاته وكتاباته ومن ذلك قوله في مقال موسوم بعنوان " ثلاث كلمات صريحة" « العلمَ العلمَ أيّها الشباب لا يلهيكم عنه سمسار أحزاب، ينفخ في ميزاب، ولا داعية انتخاب في المجامع صخاب، ولا يلفتنّكم عنه معلِّلٌ بسرابٍ، ولا حاو بجراب، يأتمُّ بغراب، ولا يفتننّكم عنه منزوٍ في خنقةٍ، ولا ملتوٍ في زنقةٍ، ولا جالسٌ في ساباطٍ على بساطٍ، يحاكي فيكم سنة الله في الأسباط، فكل واحد من هؤلاء مشعوذ خلاّب وساحرٌ كذّابٌ، إنّكم إن أطعتم هؤلاء الغواة،وانصعتم إلى هؤلاء العواة، خسرتم أنفسكم وخسركم وطنكم، وستندمون يوم يجني الزارعون ما حصدوا، ولات ساعة ندم ».[5]

يبدأ الإبراهيمي كلماته هذه بوصيته للشباب بالعلم ، وقد حذف الفعل في الأول ويقدر بقولنا " الزموا" أي؛ الزموا العلم، فيكرر الابراهيمي كلمة العلم مرتين لشد انتباه الطلبة إليه ويهيئهم للخطاب اللاحق، لكن مما يَظهرُ للإبراهيمي في ذلك الوقت أنّ الشباب يزيغون عن طلب العلم إلى طلب السياسة والدخول في الحزبيات فيرفع الإبراهيمي من حدة الخطاب وقوة صخبه إلى أعلى مستوياته الصوتية والإيقاعية متأنقا في اختيار الألفاظ، فيسجعها ويجانس بين فواصلها مراعيا بذلك جودة التحرير والتعبير، وجاعلا هذا الجرس جسرا ينفذ من خلاله إلى نفوس طلبة العلم، حتى تستقر وصيته في نفوسهم ويجتهدوا في طلب العلم.

جاءت هذه الأساليب البديعة في هذه المقطوعة في خضم تحذير الإبراهيمي من الوقوع في الحزبيات والابتعاد عن العلم، فكان لا بد له أن يتوخى فيها اصطياد واقتناص مواطن التأثير في المتلقين ليبدأ مسجعا

[5] الابراهيمي البشير،(دت) عيون البصائر، دار الامة، الجزائر، دط، ص: 350،351.

ومجانسا بين فواصل المعاني بحرف الباء وبنفس الصيغة الصرفية"فعال" فجاءت كأنها قافية شعر؛ بحيث لا تجد لنفسك مشقة وأنت تقرأ، (أحزاب، ميزاب، انتخاب، صخّاب، سراب، جراب خراب، غراب).

ثمّ ينتقل من حرف الباء منوعا في الإيقاع الموسيقي بحرف القاف مع هاء السكت (خنقة، زنقة) .وهكذا يعيد تغيير النغمة الصوتية إلى حرف الطاء (ساباط، بساط، الأسباط)، ويعيد الكرة مع حرف الباء (خلاب، كذاب، ثم حرف التاء (الغواة، العواة) وبعدها حرف الميم (أنفسكم،وطنكم، ندم) ستة أحرف مسجوعة ومتجانسة يأتي بها الإبراهيمي في هذه العبارة فلعمري كأنه يأخذ بيد المتلقي ليسافر معه إلى ستة عوالم مختلفة ، فيدخل المتلقي مع المرسل في عملية وجدانية تفاعلية تغوص بهم في أعماق تلك العوالم، فلا يحس القارئ بأيّ تكلف في العبارة بل هو جار مجرى الطبع نظرا لما عرف به البشير الإبراهيمي من بلاغة وفصاحة لسان.

يمكننا القول أنّ الإبراهيمي اعتمد السجع هنا كحجج ليدعم النتيجة من مضمون كلامه وهي الحرص على طلب العلم.

و يفرض الإبراهيمي على المتلقين إيقاعا موسيقيا يجعلهم منبهرين مندهشين من صرامة الصوت وتقلباته لكن سرعان ما تتطور هذه الوظيفة الإيقاعية إلى وظيفة أخرى من أجلها وجد هذا النغم وهي التي ترمي إلى «تنشيط ذهن السامع وطرد السآمة، والإسهام في إيضاح المعاني وزيادة الإفادة ».[6]

وقد وُظِّفَ السجع في هذه العبارات بطريقة تخدم المعنى وتظهره بطريقة فريدة فكل لفظ له علاقة تراتبية مع الآخر فانظر إليه حين يقول : "لا يلهيكم عنه سمسار أحزاب، ينفخ في ميزاب ولا داعية انتخاب، في المجامع صخّاب "، يبين هذا أنّ لكل حزب سماسرة ودعاة في المحافل لتجميع وتكثير الناس حولهم، ثم يقول " ولا يفتنكم عنه منزو في خنقة، ولا ملتو في زنقة" فيُفهَمُ من هذا المعنى أنهم يتربصون بطلبة العلم الدوائر، "ولا جالس في ساباط على بساط يحاكي فيكم سنة الله في الأسباط"، فغاية كل حزب التجميع، واستحضار المتلقي لمعنى كلمة الأسباط والتي تعني أولاد يعقوب وأنّ كل واحد منهم أنجب أمة فسموا بالأسباط لكثرة أحفادهم، تحصل له فائدة مقصودة من هذا السجع وهي هَمُّ الحزبيين كله هو التكثيف والتجميع .

إنّ المتأمل لهذه العبارة يجدها أبعد ما تكون عن التكلف والصنعة، فيشعر المتلقي بأنّ العبارات والألفاظ تنساب كمياه الجدول داخل النص لا يعوقها عائق، وهذا كله بفضل الموهبة والمقدرة التعبيرية الفريدة للكاتب مجليةً بذلك «القيمة الفنية التي لا يفصلها أدنى فاصل عن القيمة النفعية في أدب الإبراهيمي».[7]

وفي مقال آخر للإبراهيمي بعنوان" الشاب الجزائري كما تمثله لي الخواطر "نجده يعطي القدوة للشباب الجزائري ويرفع من هممهم حيث يقول «أتمثله حلف عمل، لا حليف بطالة، وحلس معمل لا حلس مقهى، وبطل أعمال، لا ماضغ أقوال ومرتاد حقيقة، لا رائد خيال ».[8]

[6] الغنيم إبراهيم بن عبد الرحمن، (1996) الصورة الفنية في الشعر العربي (مثال ونقد)، الشركة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، ص 264.
[7] عباس محمد، (دت) البشير الإبراهيمي أديبا، دار الفجر، وهران، دط، ص 350.

يجمع الإبراهيمي بطريقة فنية وذكية بين السجع والطباق، ويعتمد على هذا التدعيم المتمثل في تلك الفواصل المسجوعة والثنائيات المتقابلة، إذ يمكن اعتماد كل واحد من هذه المقاطع حجة يبني عليها المتكلم أطروحاته.

2-2 طريق الحقيقة أم طريق الوهم:

ح1: أتمثله حلف عمل، لا حليف بطالة. ح2: وحلس معمل، لا حلس مقهى، ح3: وبطل أعمال، لا ماضغ أقوال، ح4: ومرتاد حقيقة، لا رائد خيال.

النتيجة: شاب مثالي صالح ونافع للمجتمع.

لقد ركز " المرسل" على هذا المحسِّنِ، لا لغرض الزخرفة والتنميق وحدها، بل أيضا من أجل بلوغ مراميه الإقناعية، فتلتقي بذلك بلاغة الإقناع والإمتاع معا وهذا لب ما ترمي إليه نظرية الحجاج المعاصرة، فانظر إليه وهو يصنع المشهد للشاب الجزائري ويجعله رغما عنه يبتعد عن مواطن الريبة والضياع، لأنّه جعل له مشهدا مكونا من طريقين عن طريق الطباق والسجع؛ طريق الحقيقة وطريق الوهم.

3 – الطباق:

3-1 مسارات متضادة أيهما سيسلك المتلقي:

أكثر البلاغيون القدامى الكلام عن مصطلح الطباق وما له من دور في تزيين الكلام، ولكن ما نود عمله هو معرفة وظيفته الإبلاغيةوالتأثيرية، إذا وظف بطريقة حسنة يراعى فيها خدمة المعنى كما نبه عليه حازم في منهاجه بقوله: «وذلك بأن يوضع أحد المعنيين المتضادين أو المتخالفين من الآخر وضعا متلائما»[9]، ويتبين من خلال هذا أنّ التلاؤم شرط أساسي يحاول كل متكلم إقامته ولا يتأتى هذا الأمر إلاّ للبلغاء وأرباب الكلام، وسنحاول في هذه المرحلة الكشف عن الجوانب الحجاجية الكامنة في الطباق من المقالات المختارة.

ونبدأ بمقال موسوم بـ " الأديان الثلاثة في الجزائر "، حيث يتحدث الإبراهيمي في هذا المقال عن الإسلام،والنصرانية، واليهودية، ولا شك أنّه يحاول الانتصار للدين الإسلامي، فيقول : «أمّا الإسلام فهو أوثقها اتصالا بالأصول السماوية، وأوسعها امتدادا مع التاريخ وأبقاها أثرا في صحائفه وأعمقها تأثيرا في نفوس معتنقيه لملاءمة روحه روحهم، ولمناسبة الفطرة فيه وفيهم، ولأنّ تأثرهم به كان عن اقتناع لا عن إكراه »[10]، فمحل الشاهد من هذه العبارة "اقتناع، إكراه"، يذكر الإبراهيمي هاتين اللفظتين المتباينتين معنويا بعد أن انتصر للإسلام وعدّد كثيرا من مناقبه ومحاسنه، فكأنّه أراد لهذا الطباق أن يكون في الأخير ليكون الورقة الرابحة التي تدعم الحجج

[8] الإبراهيمي عيون البصائر، ص 586.

[9] القرطاجني حازم، (1986) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح محمد الحبيب بن خوجة، دار الغرب الإسلامي،بيروت، لبنان، ط03،ص 48.

[10] الإبراهيمي، عيون البصائر ص 61.

السابقة، فيكون بذلك الحجاج تصاعديا من الحجة الأولى إلى غاية الطباق وسنمثل ذلك بهذا السلم الحجاجي على النحو الآتي :

ن: الإسلام هو دين الله الحق ولن يتخلى عنه الجزائريون.

ح5 – ولأنّ تأثرهم به كان عن اقتناع لا عن إكراه.

ح4 – ولمناسبة الفطرة السليمة فيه وفيهم.

ح3 – أعمقها تأثيرا في نفوس معتنقيه لملاءمة روحه روحهم.

ح2 – وأوسعها امتداد مع التاريخ.

ح1 – الإسلام فهو أوثقها اتصالا بالأصول السماوية.

يأتي الطباق في هذه العبارة في أعلى درجة السلم الحجاجي، لأنّ «كل قول يرد في درجة ما من السلم يكون الدليل الذي يعلوه أقوى منه بالنسبة للنتيجة ».[11]

3-2 دقة الاختيار والتوظيف:

تبرز فطنة وذكاء الإبراهيمي في اختياره لهاتين اللفظتين، اقتناع ≠ إكراه فقال اقتناع ولم يقل إقناع، والبون شاسع بينهما، فالاقتناع يكون من قبل المقتنع بسبب ما يراه من أمور حسنة وجيدة في الدين الإسلامي، تساير الفطر السليمة وبسبب ما يراه من عدل الإسلام وإحسانه للأديان الأخرى وبسبب ما يراه من ظلم وطغيان وجور من النصرانية واليهودية، فيعتنق هذا الدين بكل سهولة ويسر من دون أن يكون له داع يدعوه إليه.

أمّا الإقناع فيكون من قبل الخصم الذي يدافع الآخر بالحجة بغية أن ينضم إليه أو يجعله يتبنى أطروحاته فالاقتناع شيء والإقناع شيء وبهذا يتبين الفرق وتظهر الملاءمة في اختيار المتكلم لهذه الكلمة لتكون المطابقة في هذه الحالة حجة يراد من خلالها الإقناع فبالتضاد تبرز المعاني وتتضح لدى المتلقي.

وفي مقال آخر للإبراهيمي بعنوان "اللّغة العربية في الجزائر، عقيلة حرة ليس لها ضرة"، يقول فيه: «اللّغة العربية في القطر الجزائري ليست غريبة ولا دخيلة، بل هي في دارها وبين حماتها وأنصارها وهي ممتدة الجذور مع الماضي، مش،تدة الأواخي مع الحاضر، طويلة الأفنان في المستقبل ».[12]

ومحل الشاهد من هذه العبارة " الماضي، الحاضر، المستقبل"، يرسم لنا المتكلم بهذا الطباق خريطة زمنية مرت عليها اللّغة العربية في هذا الوطن وأنّها ستمتد إلى المستقبل، يُحسِنُ الإبراهيمي اختياره لهذه الألفاظ الزمنية المتباينة؛ فهي تؤدي دلالة قوية تستقر في ذهنية المتلقي؛ حيث بدأ الإبراهيمي من الماضي وأنّ هذه اللّغة ليست وليدة اللّحظة في هذه البلد معرجا على الحاضر متجاوزا الآفاق متطلعا ومستشرفا حالتها في المستقبل وسنمثل لهذه الألفاظ بسلم حجاجي:

[11] العزاوي أبو بكر، (2009) اللغة والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط01، ص134.

[12] الإبراهيمي، عيون البصائر، ص221.

ن: اللغة العربية هي اللغة الأصلية الباقية

ح3 – طويلة الأفنان في المستقبل.

ح2 – مشتدة الأواخي مع الحاضر.

ح1 – ممتدة الجذور مع الماضي.

بهذا الطباق يؤكد المتكلم على حالة اللّغة العربية في الجزائر بأنّها ستكون حاضرة في المستقبل لا تنافسها في ذلك لغة، فتبعث الطمأنينة في نفسية المتلقي.

4 – المقابلة:

4-1 تضييق الفسحة أمام المتلقي:

إنّ المقابلة وجه بلاغي أوسع من الطباق تقوم على التقابل والتضاد المركب، فهي قائمة على التضاد بين الجمل، فتتجاوز المقابلة العلاقة العكسية لتظهر شيئا آخر هو تلاؤم العبارتين مع بعضهما فتصير بذلك أداة ينسجم بها النص.

يختار المتكلم التعبير بالمقابلة لأنّه يرى فيها ترسانة من وسائل الإقناع، فهو عندما يضع الألفاظ ويرصفها مع بعض بما يقابلها، لغرض مقصود ومحدد هو أسر المتلقي وشد انتباهه، ومن أمثلتها في كلام الإبراهيمي ما قاله: «أتمثله مقداما على العظائم في غير تهور، محجاما عن الصغائر في غير جبن».[13]

يقابل الإبراهيمي في هذه العبارة لكل كلمة بضدها (مقداما) (محجاما) (العظائم) (الصغائر) و(في غير تهور) (في غير جبن).

وفي هذه المقابلة معاني سامية ومنهج حياة مستقيم أراد المخاطب أن يوصل رسالته للشباب عبر قناة المقابلة، وبفضل هذا التضاد استطاع الاستحواذ على المتلقي ليقع تحت أسر الإيقاع الصوتي من خلال التوازي الحاصل بين المفردات (مقداما) (محجاما) فهي على وزن وإيقاع واحد (مفعال) وكلمتي (العظائم) (الصغائر) فهي على وزن (مفاعل) فيكون هذا الوزن والإيقاع علامة لصناعة الشكل وتجويده فيجود بذلك المعنى.

5-براعة الاستهلال:

5-1مناورة الكاتب في أسر المخاطَبِ لتحقيق الغرض :

تعد براعة الاستهلال بابا مهما من الأبواب البديعية في استمالة المتلقي ولفت انتباهه وشد تركيزه لفحوى الخطاب، بحيث يجعل المتكلم « أول الكلام رقيقا سهلا، مستقلا عمّا بعده مناسبا للمقام، بحيث يجلب السامع إلى الاصغاء بكليته، لأنّه أول ما يقرع السمع »[14].وتفطن أرسطو في كتابه الخطابة بمكانة حسن الابتداء وجعله

[13] الإبراهيمي، عيون البصائر ص 586.

[14] الهاشمي السيد أحمد، (دت) جواهر البلاغة في المعاني البيان والبديع ،دار ابن خلدون ،دط ،ص 341 .

مناظرا للمطلع في الشعر الدرامي أو الافتتاحية في قطعة معزوفة على الناي[15]، لأنّ براعة الاستهلال تجعل المتلقي في خضم موضوع الخطاب بإزالة الإبهام والغموض .

وقد تنبه القدماء لأهمية البنية الافتتاحية الكامنة من وراء براعة الاستهلال، وهي «أنيأتيالناظمأوالناثرفيابتداءكلامهببيتأوقرينةتدلّعلىمرادهفيالقصيدةأوالرسالةأومعظممراده؛والكاتبأشدّضرورةإليهذلكمنغير هليُبتَنَىكلامهعلىنسقواحددلّعليهمنأوّلهإلىمبهامقصده» .[16]

وتكتسب براعة الاستهلال أهميتها بسبب تلك الديباجة التي اهتم بها صاحب الخطاب من أجل الوصول إلى قصوده وأغراضه وهي تدل على براعة المتكلم وتمكنه من استعمال أدوات اللّغة لأنّ المتحدث الجيد يستطيع أن يثبت حضوره وشخصيته من بداية نصه .

إنّ الواقف على البنيات الأسلوبية للافتتاحيات في مقالات الإبراهيمي يلمس قوة كامنة تبرز في دقة اختيار المفردات، مع انسجامها داخل المستوى التركيبي الذي تشكلت فيه مع القوة الدلالية الكامنة بداخلها، كأن تُلمح أو تشير إلى فحوى الخطاب ومضمونه، وتتسع هذه البنية لتصل إلى نهاية الخطاب وخاتمته، لأنّ حسن الابتداءات تقتضي أيضا حسن التخلص، مما يحقق للنّص الالتئام والانسجام أو التماسك النصي بين البداية والنهاية، ونريد في هذا العنصر الوقوف على تلك البنى الافتتاحية لمعرفة أغراض المتكلم، مع الوقوف على خصائصها الأسلوبية، وكيف يصل بها الباثُّ إلى الاستمالة والتأثير والإقناع .

ومن أمثلة البنى الافتتاحية التي يحاول فيها الإبراهيمي كشف سياسة المستعمر وبطلانها وزيفها إذ يفتتح المقال قائلا : « للسياسة في جميع بلاد الله وعند جميع خلقه معنى محدود وقارٌّ في حيزه من الادراك، إلاّ في هذه البلد وعند حكومته الاستعمارية وساسته المقلدين فإنّ معناها غير محدود ولا مستقر، يتسع إلى أقصى حدود الاتساع، فيحمل ما قارب وما باعد، وما جانس وما خالف، وما اطردَّ وما شذّ، ويضيق إلى أقصى حدود الضيق، فتلتوي مسالكه، وتنْسَدُّ مجاريه، وتتهافت أقيسته ولا يتبين فيه مورد من مصدر، كل ذلك بالتّبع لأهواء الاستعمار المتباينة، وأهويته المتناوحة؛ والاستعمار كله رجس من عمل الشّيطان ».[17]

جاءت هذه المقدمة الاستهلالية تابعة لعنوان المقال "جمعية العلماء موقفها من السياسة والساسة" ولا شك أنّ الإبراهيمي يريد أن يفضح أساليب الاستعمار وسياساته التلاعبية بالقوانين وليضع المتلقي في جوّ هذه الألاعيب بدأ بذكر مُسَلَّمة معلومة عند جميع النّاس في تعريفه للسياسة بأنّها محدودة وثابتة المعنى في جميع البلدان ، فيكون بذلك أضاف للمتلقي معلومة يرتكز عليها ليحكم بنفسه على سياسة المستعمر في الجزائر.

---

[15] ينظر: أرسطو، (1979) الخطابة ،تر عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت، ص230 .

[16] النويري أحمد بن عبد الوهاب شهاب الدين، (1423) نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ،ط1،، ج7، ص 133.

[17] الإبراهيمي، عيون البصائر، ص 38 .

مع هذا التعريف الذي تشترك فيه جميع البلدان في معنى السياسة يستثني المتكلم السياسة الاستعمارية في الجزائر بأنّ لها معنى مخالف تماما، ثم يطنب الإبراهيمي مستندا على مجموعة من المحسنات اللفظية التي تقرع أذن السامع لتوقظ فيه الهمة، لهذه الطريقة المغرقة في الإطناب تأكيد من المرسل على تهيئة المتلقي نفسيا بإثارة انفعالاته وحماسته، حتى تتكون عنده فكرة سيئة عن سياسة المستعمر تبعث فيه روح الرفض والعصيان .

تظهرالوظيفة الإقناعية في هذه المقدمة الاستهلالية بسبب المشهد التصويري الذي كون لدى المتلقي أفكارا سيئة تجعله يتفطن لمكر المستعمر، ثمّ إنّ من البنى الافتتاحية لهذه المقدمة ذلك الإجمال الذي يعد نوعا من الاستراتيجيات التي يعتمدها المتكلم لشد انتباه المخاطَب ، بحيث يكون بسط الموضوع في عرض المقال حتى يضمن من المتلقي متابعته إلى خاتمة النص .

خاتمة:

ومجمل القول في هذه الورقة البحثية؛ أنّ صاحب الخطاب عندما ينحو منحى الحجاج الخارج عن إطار البرهان وصرامته، فإنّه يحتاج لبدائلَ أخرى غير صورية تجعل من كلامه حجة على غيره وهذا ما توفره براعة المتكلم في استعمال اللّغة؛ لأنّ القارئ لا يحسُّ ولا يشعر عندما تقرع أسماعَه الحجة وذلك أن المخاطِب يريد مخاتلة المتلقي على تحمل اعتقاد معين واتِّباعه، فيسلك به مسارات استدلالية تختفي وراء تلك المحسنات البديعية؛ مما يُحَمِّل المتلقي الوصول إلى الأغراض والنتائج بنفسه، فيصبح حينئذٍ عضوًا فاعلا في العملية التواصلية، ويكون بذلك قارئا منتجا ومبدعا لا مستهلكا.

وكل هذا بفضل الخصائص المتوفرة في اللغة المغرية للمبدع في أن يهندس نصه وفق استراتيجية فعالة تخدم أغراضه الإقناعية المختبئة خلف البناء الشكلي والإيقاع الموسيقي للخطاب، والذي يظهر عند الإبراهيمي في حسن الموازنة بين الفواصل والأسجاع، ودقة اختيار الألفاظ المتقابلة مع حسن التخلص وبراعة الاستهلال التي تجعل المتلقي لا شعوريا ينصاع للحجة انصياعًا وهو في غاية المتعة.

المصادر والمراجع:

1. الابراهيمي البشير، (دت) عيون البصائر، دار الامة، الجزائر، دط.
2. ابن خلدون عبد الرحمن، (2005) المقدمة، تح عبد السلام الشدادي، بيت الفنون والعلوم واللآداب، الدار البيضاء، ط01.
3. أرسطو، (1979) الخطابة، تر عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، دار القلم، بيروت، ط01.

4. زروقي عبد القادر، (2015) حجاجية البديع (استدلال منطقي أم إقناع بلاغي) ضمن أعمال الملتقى الدولي: مباحث الحجاج بين التنظير والإجراء (بحوث علمية محكمة في الحجاج) تنسيق مفلاح بن عبد الله، منشورات مختبر اللغة والتواصل.
5. عباس محمد، (دت) البشير الإبراهيمي أديبا، دار الفجر، وهران، دط.
6. عبد المجيد جميل، (1999) بلاغة النص (مدخل نظري ودراسة تطبيقية)، دار عريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط01.
7. العزاوي أبو بكر، (2009) اللغة والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط01.
8. الغنيم إبراهيم بن عبد الرحمن، (1996) الصورة الفنية في الشعر العربي (مثال ونقد)، الشركة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1.
9. القرطاجني حازم، (1986) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح محمد الحبيب بن خوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط03.
10. القزويني الخطيب، (2003) الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، تح إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط01.
11. النويري أحمد بن عبد الوهاب شهاب الدين، (1423) نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط1.
12. الهاشمي السيد أحمد، (دت) جواهر البلاغة في المعاني البيان والبديع، دار ابن خلدون ،دط.

Sources and references:

1. al-Ibrāhīmī al-Bashīr, (dt) ‘Uyūn al-Baṣā’ir, Dār al-ummah, al-Jazā’ir.
2. Ibn Khaldūn‘Abd al-Raḥmān, (2005) al-muqaddimah, tḥ‘Abd al-Salām al-Shaddādī, Bayt al-Funūnwa-al-‘Ulūmwāll’ādāb, al-Dār al-Bayḍā’.
3. Arisṭū, (1979) al-khaṭābah, tara‘Abd al-RaḥmānBadawī, Wakālat al-Maṭbū‘āt, al-Kuwayt, Dār al-Qalam, Bayrūt.
4. Zarrūqī‘Abd al-Qādir, (2015) ḥijājīyah al-Badī‘ (astdlālmanṭiqī Umm iqnā‘Balāghī) ḍimnaa‘māl al-Multaqá al-dawlī : Mabāḥith al-Ḥajjājbayna al-tanẓīrwa-al-ijrā’ (BuḥūthilmīyahMaḥkamatfī al-Ḥajjāj) tansīqMiflāḥ ibn ‘AbdAllāh, ManshūrātMukhtabar al-lughahwa-al-Tawāṣul.
5. ‘AbbāsMuḥammad, (dt) al-Bashīr al-IbrāhīmīAdabyā, Dār al-Fajr, Wahrān, dṭ.
6. ‘Abd al-MajīdJamīl, (1999) Balāghat al-naṣṣ (madkhalnaẓarīwa-dirāsattaṭbīqīyah), Dār‘Urayblil-Ṭibā‘ahwa-al-Nashrwa-al-Tawzī‘, al-Qāhirah.
7. al-‘AzzāwīAbū Bakr, (2009) al-lughahwa-al-ḥijāj, Mu’assasat al-Riḥāb al-ḥadīthahlil-Ṭibā‘ahwa-al-sharrwa-al-Tawzī‘, Bayrūt, Lubnān.

8. al-GhunaymIbrāhīm ibn ‘Abd al-Raḥmān, (1996) al-Ṣūrah al-fannīyahfī al-shi‘r al-‘Arabī (mithālwa-naqd), al-Sharikah al-‘Arabīyahlil-Nashrwa-al-Tawzī‘, al-Qāhirah.
9. al-QarṭājannīḤāzim, (1986) Minhāj al-bulaghā’wa-sirāj al-Udabā’, ṭḥMuḥammad al-Ḥabīb ibn Khūjah, Dār al-Gharb al-Islāmī.
10. al-Qazwīnī al-Khaṭīb, (2003) al-Īḍāḥfī‘ulūm al-balāghah al-ma‘ānīwa-al-bayānwa-al-badī‘, ṭḥIbrāhīm Shams al-Dīn, Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, Bayrūt.
11. al-NuwayrīAḥmad ibn ‘Abd al-WahhābShihāb al-Dīn, (1423) nihāyat al-arabfīFunūn al-adab, Dār al-Kutubwa-al-Wathā’iq al-Qawmīyah, al-Qāhirah.
12. al-Hāshimī al-SayyidAḥmad, (dt) Jawāhir al-balāghahfī al-ma‘ānī al-Bayānwa-al-badī‘, Dār Ibn Khaldūn.